

صبح الأعشى في صناعة الإنشا

قالت يا أمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق ولئن تحقق فيك ما طنناه فحطك الأوفر وإني ما أورتك الشنآن في قلوب المسلمين إلا هؤلاء فأدحض مقالتهم وأبعد منزلتهم فإنك إن فعلت ذلك تزدد من إني قريبا ومن المسلمين حبا قال وإنك لتقولين ذلك قالت سبحان إني وإني ما مثلك من مدح بباطل ولا اعتذر إليه بكذب وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلبنا كان علي وإني أحب إلينا منك وأنت أحب إلينا من غيرك قال ممن قالت مروان وسعيد بن العاص قال وبم استحققت ذلك عندك قالت بسعة حلمك وكريم عفوك قال وإنيهما يطمعان في ذلك قالت هما وإني من الرأي على ما كنت عليه لعثمان بن عفان قال لقد قاربت فما حاجتك قالت يا أمير المؤمنين إن مروان تبنيك في المدينة تبنيك من لا يريد منها البراح لا يحكم بعدل ولا يقضي بسنة يتبع عورات المؤمنين حبس ابن أبي فأتيته فقال كيت وكيت فأسمعتني أخشن من الحجر وألجمته أمر من الصبر ثم رجعت إلى نفسي باللائمة وقلت لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالعفو منه فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظرا وعليه معديا قال صدقت لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته اكتبوا لها بإطلاقه قالت يا أمير المؤمنين وأني بالرجعة وقد نفذ زادي وكلت راحلتي فأمر لها براحلة موطاة وخمسة آلاف درهم .

ومن ذلك ما روي أن معاوية حج فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل الحجون يقال لها الدارمية وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها فجدء بها فقال ما حالك يا ابنة حام قالت لست لحام أدعى